تجلّيات العلاقات

في معلّقة طرفة ودلالتها في الشّعر الجاهلي

د/ يونس العياري

المعهد العالي للعلوم الإنسانيّة بجندوبة.

ما زال الشّعر الجاهلي يستقطب اهتمام النقّاد والباحثين في شؤون الأدب ولاسيّما المعلّقات. ويعتبر الشّعر الجاهلي من الرّوائع الإبداعيّة التي تزداد قوّة وعمقا مع مرور الزّمن. وهذه الرّوائع متعدّدة المواضيع ذلك أنّ الدارس تظهر له مع نهاية كلّ موضوع موضوعات جديدة تحتاج بدورها إلى التحليل وإعمال النّظر فيها. فالقصيدة أو المعلّقة تعتبر عملا إبداعيّا متشعّب الجوانب إذ هي لا تتضمّن موضوعا واحدا ولا تقدّم جانبا معيّنا من حياة صاحبها وعصره وإنّما تشمل العديد من الجوانب والمقاصد والعلاقات.

وهي روائع شدّتنا إليها بأبعادها الفنيّة المختلفة سواء تعلّقت ببناها التركيبيّة أو المعجميّة أو الإيقاعيّة أو الدلاليّة. وقد رأينا أن نتناول هذه البنى في علاقة بعضها ببعض علّنا أن نتمثّل المكونات الجمالية التي تتحقق من خلالها أدبيّة الخطاب وتتجلّى معالم النصّ.

لذا رأينا أن نخترق سجوف الخطاب عبر إحدى بناه، نعني البنية الدلاليّة لنمسك بخيط الصلات التي يربطها بالبنى الأخرى وقد حدّدنا موقع اختراقنا بنظام العلاقات التي تربط الشاعر بالمحيط العريض الذي يعيش فيه كما يوحي به إلينا شعره، اعتبارا منّا أنّ أولى الصّور التي تتجلّى لمتقبّل الخطاب ما يعلن عن علاقة الشّاعر بالمحيط لأنّ التّعامل مع المحيط هو في تقديرنا القادح الأساسي لنشأة القصيدة.

ولقد اخترنا من كامل المعلقات المعروفة واحدة باعتبارها نموذجا مناسبا لموضوع بحثنا لما تتضمنه من وفرة العلاقات وتنوّعها إذ قمنا حصر اهتمام الشّاعر في مجمل العلاقات التي حاول هو بدوره أن يضمّنها معلّقته، قمنا بإحصاء عام لكلّ العلاقات التي بنى عليها الشّاعر معلّقته فوجدنا ثلاثة عشر علاقة نعني ثلاث عشر صلة تربط الشّاعر بما يحيط به سواء كانت الصلة من متعلقات الإنسان أو الجماد أو الحيوان. وترد هذه العلاقات وفق التّرتيب التالي:

العلاقات في المعلّقة ودلالتها :

الشّاعر	العلاقة	الدّلالات	أرقام الأبيات	عددها
طرفة	الأطلال	معاناة	1–2	2
//	الظعائن	تعظيم وتقدير	3–4–5	3
//	الحبيبة	انبهار وإعجاب	6–7–8–9–10	5
//	الناقة	انبهار وإعجاب	من 11 إلى 47	37
//	المغنيّة	انبهار وإعجاب	من 48 إلى 52	5
//	القوم والفقراء واللائم	انسجام وانفصال	من 53 إلى 56	4
//	المذهب والسلوك في الحياة	الالتزام	من 57 إلى 62	6
//	الفناء والموت	اللاّمبالاة	من 63 إلى 67	5
//	ابن عمّه	لوم	من 68 إلى 80	14

الشّاعر	العلاقة	الدّلالات	أرقام الأبيات	عددها
//	تعداد الانتصارات والمفاخر	صراع	من 81 إلى 92	12
//	ابنة أخيه معبد	أمان وثقة	من 93 إلى 101	9
//	الدّهر	صراع	102	1
//	أخبار الغيب	عجز	103	1

أوّل ما نلاحظه من أمر هذه العلاقات بالمحيط حضور علاقة صراع مستديم في كلّ تفاعلات الشاعر حتّى أنّ كلّ العلاقات لا تخلو من قدر من المعاناة والتوتّر يساعدنا تعداد الأبيات الدالة عليها على ترتيب درجات تفاوتها في نفس الشاعر ووجدانه.

وبما أنّنا نشتغل على العلاقات في المعلّقة رأينا أن نبدأ بتعديد المصطلح الذي سنعتمده في بحثنا، انطلاقا من المعنى المعجمي، وردت لفظة " علاقة "[1] كما يلي :

- علق : أي ارتبط واتصل ولزم.
- علق يفعل كذا : أي طفق بمعنى شرع.
- علق : نصب وركب العلاقة تعني الطرفين أو أكثر.

العلاقة : التمسّك.

علق به : هويه وأحبّه وشغف به ولهج به.

وهذه معاني فعل علق : شرح واتصل وارتبط وتمسّك وأحبّ وشغف وهوى.

1) ابن منظور، لسان العرب، المجلّد العاشر، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ص 253، 254.

نلاحظ من خلال هذه التّعريفات التي أوجزنا تلخيصها أنّ بين معاني "علق" قاسما مشتركا واحدا هو الاتصال المادي أو المعنوي بين طرفين اثنين أو أكثر وقد تكون العلاقة إيجابيّة أو سلبيّة. وقد تكون العلاقة خارجيّة وهو الأكثر تداولا وتكون أيضا ذاتيّة كامنة في ضمير "الأنا". فعلاقات الشاعر بغيره متعدّدة لذا لابدّ من اختزالها في عناصر كبرى دون إجراء تغيير على ترتيبها في وجدان الشاعر كما توحي به القصيدة وعلى هذا الأساس فإنّنا نجعل العناصر الثّلاثة الأولى في عنصر واحد، أمّا العنصر الثاني فيتعلّق بالشاعر من خلال ارتباطه بالنّاقة وهو يمثّل بداية القسم الثّاني في التدرّج الذّاتي للشّاعر تجاه عالم الحيوان ودوره في حياة الفرد والمجموعة. أمّا العنصر الثالث فيشمل علاقة الشّاعر بالقبيلة والفقراء والأغنياء، كما يشمل بصفة عامّة مذهب الشّاعر وتأمّلاته في الحياة والموت.

ويحتوى العنصر الرّابع علاقة الشّاعر بابن عمّه وبالأعداء وبتجربته الحربيّة والانتصارات ويشمل العنصر الخامس وصيّة الشاعر لابنة أخيه معبد حول تأبينه بصفته بطلا لا إنسانا ضعيفا، فعدد العلاقات إذن تقلّص إذ أنّ ثلاث عشرة علاقة تصبح خمس علاقات كبرى والعلاقات الخمس يمكن أن تصبح أربعا فقط هي : الإنسان والمرأة والحيوان والمجتمع.

نجد في المعلقة بعض الاضطرابات على مستوى توارد المشاعر والمواقف والأفكار والرؤى ذلك أنّ المنطلق الأول للمعلقة يقوم على تدرج منطقي للحالة النفسيّة لكنّ الشاعر يفقد هذا الترتيب المنطقي للأحداث قبل أن ينهي حديثه عن الناقة فذكر طاعته تجاه القبيلة ثم سرعان ما عاد لوصف الناقة عبر بيتين اثنين ثمّ عاد من جديد للحديث عن شجاعته ومكانته في القبيلة ولهوه في الحوانيت ثمّ انتقل إلى ذكر شرفه وشرف قومه، وهذا المنهج غير العادي ليس بغريب عن الشّاعر الذي يختلف عن بقيّة النّاس بكونه مبدعا.

ولكن هذه الطريقة المعتمدة في نقل حالات الشاعر النفسية غير المرتبة تبرز أولا عدم التكلّف أو التصنّع، فهي تأتي مسترسلة حسب ضغوط ذاتية توجه الشّاعر نحو مقصد ما ولعلنا نجد بعض التفسير لهذا النّوع من التّفكير ذلك أن الشاعر تحدث عن المرأة في القسم الأوّل بدءا من وصف الطلل ووصولا إلى وصف الحبيبة وخزج مهزوما خذلان بسبب رحيل الحبيبة وهجرها، وقد فسر حالة الانكسار النفسي والوجدان العاطفي عند قوله " وإنّي لأمضى الهمّ " يعتبر الشاعر كلّ ما سبق همّا وقد أكّد بالجملة المركّبة وبلام التأكيد " لأمضي " إذن مؤكدان اثنان يعبران عن قيمة المرحلة المقبلة في حياة الشّاعر من خلال علاقته بالناقة التي أطنب في وصفها وستترك خيبة الشاعر العاطفيّة أثرا بليغا في مسار القصيدة فتتعالى نفسه وتكبر مع وصف الناقة ثمّ بعد ستّة وعشرين بيتا يجمع الشاعر بين الشجاعة وشرب الخمرة ثمّ ينطلق في وصف المغنيّة ويشي بمعاناته النفسيّة بإدمانه على الخمرة وإنفاق كلّ ما يملك في سبيلها. ويرد موقف القبيلة منه موقفا منطقيّا إذ تهدأ نسبيّا نفسيّته الثائرة ويعزل عن القبيلة لكنّه لا يفقد مكانته في نظر الفقراء والمترفين على السواء ويزداد الشّاعر انفعالا فيثور على اللائم رافضا التوجيه بل إنّه يفخر عليه بشجاعته في الحرب وقدرته على إنفاق المال في سبيل اللذّة.

نلاحظ في هذا المستوى من القصيدة أنّ الشاعر يكرّر بعض الصفات التي يراها إيجابيّة مثل الشجاعة والالتذاذ بالطيّبات. واللذات تشمل كلّ ما له صلة باللّهو : الخمرة والمرأة ويصبح اللائم على مستوى القصيدة بمثابة الشرارة أو الحافز الذي يدفع بالشاعر إلى إبراز ما لديه من وسائل دفاعيّة لإقناعه ورفض مواقفه كما يدرك الشاعر عجز اللائم عن تقديم أي بديل يقيه شرّ الموت فيزداد إقبالا عنيفا على حبّ الحياة القائمة في نظره على ثلاثة عناصر أساسيّة هي الخمرة والحرب والمرأة وصراع الشاعر مع هذه العناصر قابل للزوال لكنّ صراعه مع الموت محدّد وواضح و"ثابت وخارج عن نطاق

النقاش، والشعراء لديهم فكرة وعي بالصّراع بين الوجود الخاضع للزّمان والوجود المطلق الذي لا يخضع له "[2] فالزمان عند طرفة زمانان، زمان إنسانيّ وزمان مطلق غير إنسانيّ. إذن الخوف كلّ الخوف من هذا الزمان الوجودي المطلق. ويمكن أن نطلق عليه زمان ما فوق الوجود الاجتماعي أي الزّمان الإلاهي. ولقد تكرّر ذكر هذه العناصر الثلاثة باعتبارها مفخرة لدى الفتى الجاهلي وبدل أن يواصل الشاعر حديثه عن اللائم مذكّرا بلوم ابن عمّه له شرع في الحديث عن الموت الذي يأتي على الغنيّ والفقير على حدّ السّواء ثمّ أورد لوم ابن عمّه له ذاكرا شجاعته واستعداده للدفاع عن ذويه إذا هم أرادوا ذلك فالمعلّقة تشهد ضربا من القفز على مستوى تركيبتها الفنيّة الأمر الذي جعل الشّاعر يكرّر بعض الأفكار وهذا يعني أنّنا لا نجد نظاما متماسكا مسترسلا بين مختلف أقسام المعلّقة، فطرفة ينفعل ويشعر ويتكلّم.

لقد قدّم الشاعر عقب القسم الخاص بلوم ابن عمّه عرضا مطوّلا لنشاطه القتالي المكثف فمدح عمّه وذكر بأسه وما تركه من مخاوف في نفوس الإبل ثمّ تحدّث عن كرمه من خلال اجتماع العذارى حول الشواء. لكن الشّاعر لا يقف عند هذا الحدّ من سرد الأخبار وإنّما يتكهن بما لم يقع بعد فيتحدّث إلى ابنة أخته في موضوع تأبينه ويوصيها بالبكاء وشقّ الجيب عليه لأنّه رجل بطل يختلف عن كلّ النّاس وتشمل الوصيّة وصفا لحسن الذّكر القائم على الأخلاق الفاضلة من كرم وشجاعة وبطولة.

إنّ أمر طرفة عجب فهو يفكّر في ما لم يأت بعد وهو واثق شديد الوثوق بأفكاره وصفاته في حياته وبعد مماته. فلا مجال للشكّ عنده في أمر من أمور الحياة وتبدو ثقته بنفسه كبيرة في البيتين الأخيرين من القصيدة إذ قادته تأملاته

---

2) أحمد درويش : الكلام الجميل بين المتعة والفائدة، فصل في قراءة كتاب اللغة بين البلاغة والأسلوبيّة، مصطفى ناصف، عالم الفكر، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر/ ديسمبر 1996، ص208.

العميقة بالرغم من أنّه لم يتجاوز سنّ الشباب كما تدلّ على ذلك معلّقته، إلى نتائج حتميّة مطلقة تنبع من قانون الوجود ومن حياة الإنسان. وليس من اليسير أن يتوصّل الشاب إلى مثل هذه الحكم.

تشهد مختلف العلاقات في القصيدة استقرارا فتوترا، لقد كان في وجدان الشّاعر بعض الارتجاج أي بعض الشروخ إذ تضعف نفسه فتتعالى انفعالاته ولا ملجأ له سوى أن يعود إلى ذاته فيستمدّ منها معاني البطولة والانتصار وهذا ما رأيناه في قسم الطلل حيث شعور طرفة بالانكسار أمام مشاعر الدمار والفناء، فعلاقته بالأطلال قائمة على الأسى والحزن وفكرة لامبالاة الشّاعر تتضحّ في أسلوب التنكير "أطلال " وهذه الكلمة ترمز إلى العلاقة العاطفيّة التي فقدت صفتها الحقيقية القائمة على الاتّصال. ففي هذا التنكير إشعار بالبعد والهجر والرّحيل فالشاعر يعيش حالة فراق مرير وأورد بعد ذلك فعل "تلوح" الدّال على البروز كما شبه بروز الأطلال ببقايا الوشم في ظاهر اليد فكأنّ اندثار الأطلال بديار الحبيبة هو اندثار الوشم في أحد الأجزاء البارزة في جسد الإنسان إذن اندثار المكان هو في الواقع تعبير مباشر عن اندثار الشاعر جسديا ونفسيّا وهكذا يصبح مكان اللقاء بالحبيبة جزءا لا يتجزأ من كيان الشّاعر الممزّق جسديّا ومعنويّا.

إنّ هلاك الشّاعر من هلاك المكان أو علاقة الشّاعر بالأطلال علاقة تأزّم وصراع بشهادة محبيه الخائفين عليه من شرّ ما لحق به من بطش الزمان وبلائه، وليس الطّلل مبعث الألم والحزن فقط فلقد وصف الشّاعر مشهد رحيل الحبيبة وصفا مفعما بالعظمة والإجلال من جهة ومشحونا بالأسى والحزن من جهة أخرى ذلك أنّ الشّاعر لم يفقد الحبيبة فحسب وإنّما فقد ذلك الكون الجميل الذي يدور في فلكه عرس الحبيبة " عدوليّة أو من سفين ابن يامن ".

إنّ عظمة الإبل الكثيرة هي من عظمة هذه القبيلة أو هذا الرّجل "ابن يامن" فالانبهار بقافلة الرحيل وبعظمتها دفع بالشّاعر إلى أن يتصوّرها سفنا

كثيرة تمخر عباب البحر فهو ينجذب إليها انجذابا كليّا وقد دلّت عبارة يهتدي لا عن حركة السفن فقط وإنّما عكست أيضا نفسيّة الشاعر الذي كاد أن يفقد رشده فهي بين الاضطراب "بجور" وبين الاستقرار "يهتدي" ويتواصل وصف الشاعر إلى نهاية القسم الأول وصفا دقيقا معبّرا عن نفسيّته من خلال ما يتجسّد أمامه من صور السّفن وحركتها في اليمّ. يقول طرفة (الطّويل)

يشـــقّ حباب الماء حيزومها بها كما قسم التّرب المفـــائل باليد[3]

حشد من الكلمات يعبر عن الحركة تعبيرا يعتمد التدرّج قوّة وضعفا : يشقّ – قسم باليد، ففعل يشقّ يتعلّق بالصورة المجازيّة ويعبّر عن العنف والبطش لا في البحر وإنّما داخل الصحراء. وأمّا كلمتا " قسم باليد " فيتعلقان بصورة حقيقيّة مستمدّة من بيئة الشاعر فما العلاقة بين حيزوم السفينة ويد المقامر ؟ لاشكّ أنّ هدف الاثنين واحد فالحيزوم منسوب إليه العبور العنيف والمقامر منسوب إليه هذا الفعل المحفوف بمشاعر غامضة حول الرّبح والخسارة. كلاهما يعاني ويكابد المتاعب في سبيل تجاوز الصعوبات ولا تختلف عن مشاعر المقامر في صورة إخفاقه انفعالات الشاعر عن مؤثرات هذا المشهد الحزين المنبئ برحيل الحبيبة وابتعادها عن الشاعر فالعلاقة بين الشاعر وزمن الرحيل إذن علاقة مزدوجة تجمع بين وصفه لعظمة الموكب الذي تحظى به الحبيبة وسط أهلها وبين حزنه الشديد لفقدانها ولعلّ هذا التمزّق والانفصال تجسدا بوضوح في الفعلين " يشقّ " و" قسم " الدالين على الانشطار والفصل بين عنصرين متكاملين وتنشا عن علاقتي الشاعر بالطلل وبالظعائن وتنحصر هذه العلاقة التالية في وصف جمال الحبيبة أساسا من وصف الطبيعة والحيوان بصفتهما عنصرين مكملين لجمال الصورة الشعريّة والشاعر الجاهلي

3) الزوزني أبو عبد الله الحسين بن أحمد : – شرح المعلقات السّبع مؤسّسة باباي للنـــشر والتوزيـــع والطباعة تونـــس ص 57.

لا يستطيع أن يصف الأشياء إلاّ من خلال المحسوسات والمرئيات فهو ذو أفق خيالي محدود[4] فلا مجال للحديث عن المعاني المجردة ففي علاقته بحبيبته تحدث عن مواطن الجمال من خلال تشبيه المرأة بالغزال :

- طول الجيد،
- كحل العينين،
- حمرة الشفتين وسمرتها،
- سنّ الشباب.

لقد تمّ التركيز في هذه الأبيات الخمسة على وصف مفاتن الحبيبة وصفا دقيقا : الجيد والفمّ والشفتان والأسنان والوجه. نستنتج من خلال علاقة الشاعر بالحبيبة أنّه عاشق لعالم الصّحراء بكلّ محتوياته، كما أنّه ملمّ بموضوع هذه العلاقة فالحبيبة لم تكن كائنا عابرا وإنّما صورة راسخة في وجدانه، الأحوى والشّادن والألوان والربرب والخميلة والبرير والأقحوان والنّور والرّمل والدّعص والندى وشعاع الشمس والكحل والشمس : تدلّ هذه الأسماء على اختيار الشّاعر ما يناسب موضوع الغزل من صور طبيعيّة مشرقة ولكن لماذا بعد هذا الاستعراض السّريع الجميل لمفاتن الحبيبة ؟ يمثل رحيل الحبيبة مأساة بالنسبة إلى الشاعر بل لقد اعتبره همّا مطلقا " وإنّي لأمضي الهمّ " همّا في الحاضر وهمّا في المستقبل وسرعان ما وجد الشّاعر فكرة التّــعويض أي البديل الواضح المجسّد في صورة الناقة وكلمة الواضح لا تعني في هذا السّياق : " التّسطيح والمباشرة "[5] الذين يفسدان الصّورة الشعريّة. وتنمو فكرة

---

4) الشابي : الخيال الشعري عند العرب. وقبله ما جاء في كتاب حصاد الهشيم للمازني فيما يتّصل بموقعهما من الخيال في الشعر الجاهلي.

5) مدحت سعد محمّد الجبار : الصّورة الشعريّة عند أبي القاسم الشابي، الدّار العربيّة للكتاب 1984، ص 26.

التعويض أكثر مع استحضار صورة الناقة التي تغطي تقريبا ثلث المعلقة ذلك أنّ الشّاعر خصها بسبعة وثلاثين بيتا وصفا دقيقا يكاد يجعل منها كائنا أسطوريا، فإلى جانب عظمة جسدها تحدث عن مشاعرها وذكاء قلبها وشجاعتها أثناء الهجوم كما وظّف أسلوب التّشخيص توظيفا واضحا لإبراز مكانتها في حياته.

- **علاقة الشاعر بالناقة**

خصّ الشاعر الناقة بأكثر من خمسة وثلاثين بيتا، أي أكثر من ثلث المعلّقة، ترى لماذا كلّ هذا الاهتمام بالنّاقة ؟ لاشكّ أنّ الناقة تمثل عنصرا محوريّا في حياة الشّاعر ولولاها لما استطاع أن يحقّق ذاته حربيّا وسياسيّا واجتماعيا، إذ بها يشقّ الصحراء وبها يغزو ويثبت مقدرته الحربيّة. فالناقة تتقاسم مع الشاعر بطولاته ومفاخره فالناقة لم تبخل على الشاعر بفضائلها وخصالها وهو أيضا يمنحها كلّ تقديره وانبهاره بدورها في حياته ويختم الشاعر علاقته بالنّاقة بذكر انتصاراته التي سخّرها لخدمة القبيلة ذكر قدرته على اللهو وإنفاق المال مرضاة لقلبه إذ يعتبر الشاعر حضور مجالس اللهو فخرا ومقدرة مالية ووجدانيّة ذلك أنّ الجمع بين الصفات الحربيّة والقدرة على اللّهو يعدّ أمرا نادرا في تلك الحقب التاريخيّة البعيدة.

إنّ شخصيّة الشاعر تتنامى عبر النصّ الشعريّ تناميا ملحوظا فهو ينتقل من مشاهد الانكسار والفشل والأطلال ورحيل الحبيبة إلى مشهد الناقة التي حظيت بإكرام لا مثيل له إلى مشهد المغنيّة أثناء المجلس وفي هذا الإطار ينسى الشاعر همومه ويشرع في ذكر متعه متعاليا بذاته متغنيّا بحظّه السعيد.

فنداماه بيض أي أحرار ينتمون إلى عليّة القوم وشبههم بالنّجوم لوسامتهم وظرافتهم كما نعت القينة بعدّة صفات تناسب مقامها شكلا وهيئة، لباسا وصوتا وحركة. وقد جمع الشاعر في ختام هذه العلاقة بيم مجالس الغناء

وشرب الخمـــرة فيصف إقبـــاله اللامتـــناهي على مثل هذه المجـــالس اللاهيّة : (الطويل)

وما زال تشرابي الخمور ولذتـــي وبيعـــي وإنفاقي طريفي ومتلـــدي

وهكذا نلاحظ أنّ علاقة الشاعر بالخمرة تقوم على الانبهار وتدلّ لفظة " تشراب" على المبالغة والمغالاة، وذلك أنّ كلمة تشراب وردت على وزن تفعال وتعني هذه الصيغة المبالغة في القيام بالفعل وتجاورها في التركيب لفظة "الخمور" الواردة في الجمع والدالة على الكثرة، فالبيت صدرا وعجزا يتركب من ناسخ "مازال" وسبعة ألفاظ : ثلاثة مصادر تشرابي - بيعي- إنفاقي وثلاثة أسماء : الخمور- طريقي - متلدي.

ويصف الشاعر موقف العشيرة منه وصفا حادا غير قابل للتراجع، وأكّد حصول عمليّة الخلع بعبارة كلّها إلى جانب فعل تحامتني الدال على القرار الجماعي بفصله عن القبيلة نهائيا، وشبه نفسه بالبعير الجرب الذي يطلي بالقطران حتّى لا تنتقل العدوى إلى الإبل السليمة. وهكذا تتوتّر العلاقة وتتعقّد نفسانيّا من جديد، وهكذا نرى أنّ سير العلاقات في المعلّقة لا يخضع لنسق تصاعدي وإنّما يتعرّض إلى ارتجاج وجدانيّ يظهر من خلال البناء الفنّي عبر تسلسل الأبيات.

فالشاعر يصف في لغة رقيقة مرهفة ذروة الفرح مع رفاقه أثناء مجلس الغناء وتتماشى لغة شعره مع سياقه النفسي " إنّ الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار اللفظة، فله من الشعور الزاخر ما يصرفه عن الألهية (يقصد بها اختيار اللفظ) وعندي أنّ الشعر ينزل مرتديّا ثوب الكامل وهذا الثوب جزء من الشعور لا يتجزأ "[6].

---

6) أبوشبكة إلياس : مقدمة ديوان أفاعي الفردوس.

فالشاعر لا يفصل بين اللغة والمعنى وإنّما يوجد في مخياله هذا الانصهار المتكامل بديهيا بين الشكل والمضمون. فالمعنى واللفظ يولدان معا من خلال سياق معيّن ناتج عن انفعالات معيّنة ولهذا ينبغي ألا نغفل السياق[7] وخاصة عند إصدار بعض الأحكام حول هذا الموقف أو ذاك، ولذلك نلاحظ في سياق الحديث عن علاقته بالعشيرة انهيارا لصرح السعادة التي وردت في وصف إقباله على الخمرة. لقد فاجأنا الشاعر بتحوّل فظيع في الموقف السلبي غير المنتظر من القبيلة وقد ازدادت انفعالات الشاعر قوة وثورة فانطلق يستعرض مواقف الآخرين الإيجابيّة مثل موقف بني غبراء وموقف الأغنياء ويبدو في هذا المستوى من العلاقة فردا ممزّقا.

لقد خسر الشّاعر حماية القبيلة من جهة وربح مواقف الآخرين من جهة أخرى وهو لا يبدو سعيدا لأنّ المهمّ بالنّسبة إليه رضا القبيلة أولا لأنّها رمز الانتماء إذ لا حياة حقيقيّة للفرد خارج القبيلة. أمّا علاقاته بالأطراف الأخرى فتأتي في مرحلة ثانويّة.

يقول الشّاعر : (الطويل)

رأيــت بني غبـــراء لا ينكـــرونني ولا أهـــل ذاك الطـــــراف الممـــدد

إنّ فعل رأيت يعبر عن تجربة الشّاعر المباشرة مع المجتمع، فهو ينطلق من صور حسيّة معبّرة عن مواقف فعليّة ثابتة "لا ينكرونني" وهذه الجملة لا تلغي معنى الانتماء وإنّما تعزّز مكانته خارج القبيلة لا داخلها. ويسترد الشاعر أنفاسه فيثور على اللائم وينعته بالعجز وعدم القدرة على ردّ الموت إذ أنّه لم يذكره إلا في بيتين إثنين وبدا الشاعر أقوى منه لأنّه وجد حلاّ في التخفيف من

7) عزام محمد : التحليل الألسني للأدب، منشورات الثقافة، دمشق، 1994، ص 117.

حدّة الفناء بل قدم نفسه صاحب مذهب في الحياة وصاحب تجربة دقيقة تجاه ما يجري من أحداث من خير وشرّ فهو يرى نفسه كريما لأنّه مدرك لحقيقة الوجود بينما الآخرون أشقياء لأنّهم لم يفهموا الوجود بل لعلهم في نظره أغبياء، أشقياء وتقترن الحياة الحقيقيّة عند الشاعر بمذهبه الثلاثي : شرب الخمرة، والشجاعة واللهو مع المرأة. هذه العناصر الثلاثة تبقى المدار الرئيسي في تفكير طرفة ووجدانه وهذا القسم من المعلقة يحتلّ تقريبا نصف القصيدة فقد خصّ مذهبه ببيت واحد ثمّ شرح محتوى البيت في خمسة أبيات : بيت واحد حول الخمرة وبيت ثان حول الشجاعة وبيتين اثنين حول المرأة ثمّ بيت أخير جامع لكلّ متع الحياة حيث يقول : (الطويل)

كريم يــروي نفسه فــي حيــاته ستعلم إن متنا غــدا أيّنــا الصّــدى

في هذا البيت إشارة إلى الحياة والموت، وعند فحص مكوّنات الصدر فإنّنا نجد المعاني التالية : كريم يروّي نفسه في حياته. كلّ كلمة مرتبطة بالأخرى : الكرم والمتعة (يروّي) النفس والحياة ويتضّح مفهوم الحياة عند طرفة بالسعادة أي أنّ يكرم الإنسان نفسه ويسعدها ولكن لماذا كلّ هذا التكالب على المتعة ؟ يجيب طرفة في العجز بأنّ لا شيء يضمن طول البقاء "سنعلم إن متنا غدا أيّنا الصدى" والتعلّق بفكرة المتعة نظرية نجدها في شعار " ألفرد قي " إذ يقول " أحبّ ما لن تراه مرّتين " وطرفة في هذا البيت " لا يفوّت لحظة طمعا في أخرى مقبلة على سبيل الرجاء والتوقّع " لا صلة لطرفة بعالم السماء وموقفه واضح الرؤية كذلك فكرة القدر ليست واضحة ولا نعثر عليها في شعره إلا من خلال التلميح، نجد في إشارة طفيفة حول فكرة القضاء والقدر في أحد أبيات المعلقة :

فلو شـــاء ربّي كنت قيـــس بن خالد ولو شاء ربّي كنت عمرو بن مرثـــد

إنّه من العسير أن نسلّم بأنّ طرفة مؤمن بهذه الفكرة على الرغم من أنّها تمثل الفكرة المركزية المكثفة عند غيره من المعاصرين له وإنّها " فكرة القدر الساحق أو الضرورة الخارجية "[8] عن إرادة الإنسان. إنّ عبارة " الضرورة الخارجيّة " هي التي تناسب مقصد طرفة، فالموت "ضرورة خارجية" هذا ما توصل إلى إدراك طرفة " إنّه يجهل من يقف وراء هذه الظاهرة، إنّه الشاعر الذي يعتمد في ملاحظته على الوهلة أو على الصّدى النفسي "[9] أو على ما نسميه بلحظة التأثر النفسي "[10].

يقوم الوجود عند طرفة على طرفي نقيض الحياة والموت والعبارات الواردة في عجز البيت مغايرة تماما للعبارات الواردة في الصدر ففعل ستعلم : فعل يعني المستقبل القريب ولكن يبقى التحديد غامضا أي أنّ الإنسان يجهل هذه المعلومة لأنّها خاصة بعالم اللاهوت " إن متنا : تركيب يفيد الاحتمال ويعني أيضا الجهل والغموض أي أن الشاعر يجمع بين اليقين والشكّ. فاليقين يتمثل في الإيمان بظاهرة الموت والشك يحوم حول زمن الموت وتأتي عبارة أينا الصدى في قالب استفهام يفيد السخرية والاستهزاء.

تبدو علاقة الشاعر بالموت علاقة فاترة فهو لم يتوتر ولم ينفعل بل ازداد اتزانا ورصانة في تسجيل خواطره حول الموت من خلال صور شعرية قائمة على التقابل :

---

8) نور ثروب فراي : نظرية الأساطير في النقد الأدبي، ترجمة حنّا عبود، دار المعارف، الطبعة الأولى، 1987 ص 43.

9) الحاوي إيليا : فنّ الوصف وتطوّره في الشعر العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987، ص 41.

10) المرجع السابق، ص41.

الشاعر الكريم ≠ اللائـم الصـــدي

الكـــــرام ≠ الفاحش المتشــــدد

إنّ الموت في نظر طرفة ظاهرة حتميّة لا مفرّ منها.

لعمرك إنّ الموت ما أخطــأ الفتى لكالطــول المرخـــى وثنيـــاه باليـــد

واهتمام طرفة بتحليل ظاهرة الموت يعكس نوع العلاقة القائمة بينهما. فهو يعطي للموت على وجه التقريب نفس الحيز الذي خصّ به مذهبه في الحياة.

ولعلّ هذا الوعي المبكر بالوجود جعله يدرك وضعية الإنسان في الكون من خلال شتى العلاقات فلذلك فرط في الكثير من الصّفات التي حرمته حبّ القبيلة وحبّ ابن عمّه وعلاقة الشاعر بابن عمّه علاقة قائمة على القطيعة والتوتّر والصراع والمقصود بالصراع في هذا السياق هو الخلاف. الخلاف بينه وبين ابن عمّه الذي طلب منه إبل أخيه.

ويبدو طرفة في هذا القسم من المعلّقة شخصا منهارا مرهقا يقول : (الطويل)

فـــذرني وخلقي إنّنـــي لك شـــاكر ولو حـــلّ بيتي نائـــيّا عند ضرغـــد

وتقترن هذه اللغة الضعيفة الفاترة المعبّرة عن فشل العلاقة بابن عمّه بمعاني الإيمان والضعف والعجز والحيرة يقول الشاعر : (الطويل)

فلو شـــاء ربّي كنت قيـــس بن خالد ولو شـــاء ربّي كنت عمرو بن مرثد

في هذا البيت إشارة إلى فكرة القضاء والقدر وقد يستبعد بعض النقاد هذا التفكير بدعوى أنّ طرفة شاعر جاهلي تفكيره بعيد عن هذه المسائل الدينيّة فهو

في البيت سخر بالقوى الغيبيّة إذ يقول لو شاء ربّي فهو يرى مصيره لعبة ومجمل القول توجد علاقة وطيدة بين الشاعر الجاهلي وهذه القوى الغيبيّة. إنّنا نعرف جيّدا تعدّد الأوثان والأصنام في الجاهليّة وكانت العبادة الوثنيّة منتشرة انتشارا واسعا فليس مستبعدا أن ترد مثل هذه الخواطر على ألسنة الشعراء. ولعلّ فكرة العبادة كانت ناجمة عن الاعتقاد الراسخ بوجود قوى غيبيّة مثل شياطين الشعراء تدير شؤون الكون كما تشير هذه الفكرة بأن الفرد الجاهلي إنسان مدرك لمنزلته في الكون وعارف بحدود قدراته الجسمانية التي قد تصنع أحيانا منه بطلا. وهذا المعنى ينطبق على شخصيّة طرفة الذي أرهقه اللوم وأتعبه ظلم ذوي القربى كما سبق أن طردته القبيلة " وأفردت إفراد البعيد المبعد " المعبد لكن طرفة لم يستسلم للظلم وعاد إلى سالف عهده بالحرب وتعداد المفاخر والانتصارات. إنّ طرفة اصطدم بمدهشات الكون وأعاجيبه التي لم يستطع إدراكها إدراكا علميّا "[11] ولكن هل لهذا الغموض ولهذه الحيرة تفسير إنّه لم يفعل أي شيء وإنّما أثار مسائل غريبة مثلا علاقة الإنسان بمستقبله علاقة أيضا غامضة وعلاقة الإنسان بمن سيأتيه بالأخبار علاقة أيضا غامضة ومجهولة ولكن لماذا لم يتوهّم لهذا الكون الغريب العجيب "تفسيرا أو يخيّل أصولا ووقائع يرتاح إليها وتزيل حيرة نفسه "[12] إنّ الشاّعر يتكلّم من خارج المسائل الدينيّة أي أنّ إلمامه بالماورائيات محدود جدّا، لقد بدا السّؤال عند طرفة فنّا جميلا ولعلّ جمال هذا الفنّ أي فنّ السؤال مرتبط بالحسّ والتقدير اللذين يمتاز بهما الشاعر في هذا السياق.

وينهي مرحلة الصراع مع ابنة عمّه بذكر بعض انطباعاته حول موضوع الظلم عامّة ويركّز على الظلم المتعلّق بالأقارب بصفته المتضرّر

11) الحاوي إيليا، فنّ الوصف وتصوره في الشعر العربي

12) المرجع السابق، ص8.

المباشر وبالرّغم من شعوره بالظّلم فهو لا يثور على ابن عمّه ولا يغير موقفه نحوه.

فذرنـــي وخلقي إنّني لك شـــاكر ولو حـــلّ بيتي نائيّا عند ضرغـــد

وطرفة إذن لا يثور على ابن عمّه ولا ينتقم منه بل هو سيّد الموقف فهو حكيم يتصرف بكلّ دراية ونفسه لا تسمح له بإلحاق الضّرر بالأقارب، يمكن أن نعتبر طرفة صاحب مذهب في الحياة ولكن علام يقوم هذا المذهب ؟ لقد أشار في البيت الشعري السابق إلى أنّ أهمّ شعار في حياته هو الحرية، لقد اختزل طرفة مذهبه في هذه الجملة " فذرني وخلقي " أي دعني وطبعي، وهذه الفكرة تعتبر أهمّ مبدإ في حياة المبدع. إنّ كلّ شيء يهون في سبيل الوصول إلى هذا المبدإ وطرفة فضّل الحياة بعيدا عن قومه مقابل هذه الحريّة التي تحقّق كيانه وتبعده عن دنيا الزّيف والتقاليد والعادات. لقد أدرك طرفة قبل غيره (هذا على الأقلّ في عصره) أنّ حضور الآخرين جزء لا يتجزأ من الوجود، أي أنّهم جزء من ذاته " إنّ الإنسان الذي يؤمن حقّا بوجوده الخاصّ لابدّ ساع إلى الإيمان بالغير لأنّه مضطرّ إلى ربط ذاته بالآخرين ووصلها بالغير وتحقيق ذاته من خلال الغير "[13]. ولعلّ ظاهرة التمزّق التي يعيشها طرفة بين حبّه للحريّة من جهة ومدى انتمائه إلى قومه من جهة أخرى جعله يعتنق مبدإ الثورة بكونه نهائيّا، مذهبا خاصا به في الحياة. وهنا تلتقي الحريّة بالثورة " وما دام هو الذي يصمم نفسه، فهو لابدّ حرّ، بل هو الحريّة نفسها ولحن وحدنا مع هذه الحرية، ولا عذر معها ولا تبرير ولا فراز، وبهذه الحريّة يخلق الإنسان نفسه بنفسه"[14] ولا يختلف شعار طرفة في الحياة عن شعار الوجوديين " عش ثائرا على الحياة

13) البدوي عبد الرّحمان : دراسات في الفلسفة الوجوديّة، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، الطّبعة الثّالثة، 1973، ص145.

14) المرجع السّابق، ص219.

ومتثائرا على الموت "[15]. إنّ فكرة الإيمان بالقضاء والقدر غير واردة في مذهب طرفة فهو ينسبها إلى " الأيّام " أي الزّمان أي النّاس " ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد " ولهذا فهو يعيش رهين اللحظة " عش ليومك ولهذا فلا أمل ولا مستقبـــل هناك "[16]. إذن ما قيمة الانتماء عند طرفة ؟ هذه الفكرة تبدو غريبة عند طرفة فهو يعلن أكثر من مرّة أنّه مع قومه ثمّ يعلن أكثر من مرّة أنّه مع حريّته وكيانه ولعلّ ناموس القيم ينهار انهيارا كليّا عندما يصوّر طرفة العبث الدنيوي :

أرى قبـــر نحّــام بخيل بما له كقبـــر غـــوي في البطالة مفسد [17]

لا شكّ أنّ طرفة يعطي إحساس الشاعر بالحياة إحساسا عميقا ولذا كانت علاقته بالدنيا علاقة واضحة، فهو فهم الحياة فهما واعيا شاملا " إنّ شعر المرء بحياته وثورته وحريّته على أكبر نحو ممكن، كانت هي الحياة على أكبر نحو ممكن " [18].

نلاحظ أنّ حجم الحياة يتّضح كلما كان فهمه لها عميقا وشاملا : "وأينما كان الوعي واضحا أضحى سلّم القيم بلا فائدة "[19].

وبعد هذه المرحلة المعبّرة عن ضعفه وانهياره أمام ابن عمّه ينطلق من جديد للتعبير عن مفاخره وانتصاراته الحربيّة فيذكر بهذه المغامرة الناجحة ويعلو صوت الأنا دويا هائلا وتحلّ لغة السلاح محلّ لغة المنطق والحكمة

15) المرجع السّابق، ص164.
16) المرجع السّابق، ص165.
17) طرفة، المعلقة.
18) البدوي عبد الرّحمان : دراسات في الفلسفة الوجوديّة، ص165.
19) المرجع السابق، ص165.

ويسمح لنفسه بالسطو على الإبل فيختار أحسنها دونما خوف أو حذر. يقول أحد شيوخ القبيلة عن تصرفات طرفة : (الطويل)

وقال ألا مـــاذا تـــرون بشـــارب شديد علينـــا بغيـــه متعمـــد

لا أحد يقدر على صدّه أو حتّى أن يقول له لا، طرفة إذن ذو بغي متعمّد أي ظلم مقصود وعلاقته بقومه قائمة على الصراع ما عدا علاقته بالفقراء الصعاليك أو ببعض الأغنياء وما يمكن أن يستنتج في هذه المرحلة من المعلقة أنّ طرفة لا يؤمن بالعجز ولا يقبل الهزيمة ويتغنى على الدوام ببطولاته وحرصه على ذكر الانتصارات وهذا ما يفسّر خوفه الشديد من الاتهام بالعجز. إنّ حيرته مزمنة تدفعه على الدوام إلى الإقبال على الحياة قبل فوات الأوان. ذلك أنّ البقاء غير مضمون وأن الوجود في نظره لا يخضع إلا لنظام عبثي لا يميّز بين هذا وذاك. لقد عبر في وصيّة لابنة عمّه عن هذه المشاعر المنكسرة وعن طريقة تأبينه نلاحظ أنّ طرفة عرض وصيّة الموت مباشرة بعد وصفه لمشهد الشواء مع العذارى فمن ذروة النشوة والفرح ينتقل بسرعة عجيبة إلى ذروة الحزن والأسى ولا يوجد فصل بين ذكره لمباهج الحياة وأفراح الموت. الشاعر لم يتخلّص من هاجس الموت الذي بدا في هذا القسم من المعلقة شديد الحضور مهيمنا عليه كلّ الهيمنة ولكن طرفة يرثي نفسه رثاء الأبطال فهو يستبق الأحداث ويتحدث عن فترة ما بعد الموت مطالبا ابنة عمّه بالإشراف على التأبين وبالأسلوب الذي يليق به باعتباره بطلا عظيما. وفي هذه المرحلة يذكّر بصفاته الحربيّة وبموافقته وآرائه في الحياة وتجاه الآخرين. وتتكثف معاني القوّة والبطولة أكثر فأكثر في هذا السياق أما عن علاقة طرفة بالدهر وأخبار الغيب فهي علاقة حذرة تكتسي طابعا حكميا وفيها إقرار واضح بضعف الإنسان وعجزة عن الإلمام بأمور الحياة وأسرارها.

يقول : (الطويل)

ستبدي لك الأيّـــام ما كنت جهلا ويأتيك بالأخبـــار من لم تـــزوّد

الأفعال : ستبدي – يأتيك – لم تزوّد، تكثيف معاني الإخبار والإعلام.

الأسماء : الأيام – الأخبار : براعة الشاعر في محاولة إدراك أسرار الأيام وخفايا الكون.

اسما الموصول : ما – من : إشارة إلى صلة الإنسان بالمخلوقات والكائنات.

الضمائر : لك (أنت) – ويأتيك أنت : الضمير المتصل يفيد معنى العلاقة.

الصفة : جاهـــلا : الإنسان بطبعه محدود الإدراك، فهو ضعيف.

نستنتج أنّ كلّ المفردات تتضمن معنى العلاقة بين الإنسان والزمان والآخرين، إذن هناك علاقة ثلاثية تتركّب من الزمن – الإنسان – الآخرون والصفة الملازمة للإنسان هي الجهل الذي يدلّ على عجزه أمام الغيب يبدو له أفق الحياة أوسع من إدراك الإنسان.

يقول طـــــرفة : (الطويل)

ويأتيك بالأخبـــار من لم تبع لــــه بتاتا ولم تضرب له وقت موعـــد

الأفعال : يأتيك – لم تبع له – لم تضرب له.

الأسماء : الأخبار – بتات – وقت موعد.

الضمائر : أنت – هو.

أسماء الموصول : من.

يعيش طرفة حيرة وجودية مطلقة جعلته يعجز عن إدراك ما يحيط به إدراكا واضحا. فهو لا يعرف أنباء الغيب ولا يعرف من سيأتي بها ولا من سيلتقي به، إذن موضوع الغيب يمكن أن يقسم إلى غيب قريب وغيب بعيد والطرافة في هذا التفكير تكمن في أنّ الغيب عند طرفة يقترن بإنسان آخر ليس بقوّة مجهولة يطلق عليها عادة القضاء والقدر وعلاقة طرفة بالأخبار تعني فقط علاقته بالآخرين (ويأتيك بالأخبار) فهو لم يقل (تأتيك الأخبار) ففي الأولى الإنسان يقف وراء الخبر بينما الثانية القوى الغيبيّة ولكن ما مصدر هذه الحيرة التي تعكس علاقة متوتّرة بين طرفة والزمان ؟ نلاحظ أنّ الزمان يتخذ بعدا مجازيا "ومن هنا يقوم التوتّر بين الذات والموضوع، بين الإنسان والعالم الذي يوجد فيه"[20]. إذن علاقة الإنسان "بالأيام" علاقة منتصر بمنهزم. وهذا الإخفاق الدائم يجعل الإنسان في حالة نفسيّة ممزّقة فهو غير راض لأنّه لا يستطيع أن يعرف في حاضره مستقبله. وعلاقة الشاعر بالآخرين (ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد) علاقة قائمة الغموض. فالشاعر عاجز حتّى عن إدراك معلومات عن الآخرين أي أنّه يجهل من سيحمل له الأخبار، فهو يجهل المرسل ويجهل الأخبـــار أيضا، وهذه الخـــواطر لم تأت من فـــراغ فهي نتيجة لتأملات دقيقة في الحيـــاة والكون "و الإنسان في جوهره أسيان لأنّه يصطدم دائما بما يعوق سبيله "[21].

هكذا نستنتج أنّ علاقة الإنسان بالمستقبل محدودة جدّا وأنّ علاقته بأخبار هذا المستقبل لا يستطيع الوصول إليها بمفرده سيخبره بها من لا صلة له به. أي أنّ معرفة الإنسان للوجود زمانا ومكانا تبدو في نظر الشاعر محدودة جدّا "

20) البدوي عبد الرّحمان ، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص98.

21) المرجع السابق، ص130.

الصلات التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره "[22] كما نقل لنا قلقه المزمن تجاه علاقته بالكون نقلا عميقا فهو " يخلط شعوره بشعورهم (الناس) وعواطفه بعواطفهم "[23].

إنّ المدهش في هذا البيت الحكمي هو نوع العلاقة القائمة بين الإنسان وغيره. فبقدر ما تكون غامضة وخفيّة وغير محدّدة مسبقا تكون مشحونة بطابع الغموض. فالعلاقات في نظر طرفة لا تقام على ترتيب واضح المعالم بيّن الخطوط وإنّما تحدثها دوافع غريبة لا يدرك الإنسان منطقيّا مسارها ويمكن إيجاد مرادف لكلمة الأخبار مثل الأنباء وهكذا يمكن أن نلاحظ أنّ المعلّقة لم تشهد استقرارا في كامل أقسامها وهذا لن يقع ذلك أنّ علاقات الشاعر متعدّدة بتعدّد الأطر الزمنيّة المرتبطة بها.

إنّ طول القصيدة يعبّر عن كثرة العلاقات التي تنعت حياة الشاعر بالانكسار والانتصار ذلك أنّه لم يخرج من هذين المدارين لقد تمكنت من خلال موضوع العلاقات في المعلّقة من معرفة الأبعاد الذاتيّة والعامّة لحياة الفرد والجماعة في العصر الجاهلي، وكلمة علاقة لا تعني حياة طرفة فقط وإنّما تعرض أمامنا حياة الآخرين أليست الحياة هي "الحبّ والبغض والخوف والرجاء واليأس والاحتقار والغيرة والندم والإعجاب والرّحمة "[24].

ولقد استوعبت معلّقة طرفة كلّ ما له صلة بالحياة ففيها نرى "آراء الشاعر وكلّ ما يعثره في الحياة من الخواطر ويصيبه من التجارب".

كما حاولت تطبيق ما يسمى بالوظيفة التنفسية في عملية الإبداع ولقد ساعدتني على تتبع نفسيّة الشاعر ورصدها رصدا ذاتيا وخارجيا أي من خلال

22) شكري محمد عياد : المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب، ص121.

23) المرجع السّابق، ص120.

24) المرجع السّابق، ص107.

علاقة الشّاعر بذاته وعلاقة هذه الذّات بالآخرين. ولقد كشفت هذه الوظيفة التنفسيّة أهمّ المكوّنات الأساسيّة المسيطرة على الشّاعر وبالرغم من تشاؤمه المهيمن على أغلب العلاقات فقد كان لأمله حضور فعال في سير أحداث الحياة إلى الأمام فهو لم يفهم الحياة الدنيا بالإحساس فقط وإنّما فهمها أيضا بالإدراك والعقل وقد يظهر هذا التعبير في أسلوب طرفة الذي يجمع فيه بين صنفين من الألفاظ : الألفاظ الرقيقة والألفاظ الجزلة، ولا يوجد في نظرنا تبيان بين هذا الصنف من الألفاظ بل يمكن اعتباره تكاملا فنيّا بين معاني القصيدة ذات السياقات المختلفة، و"القصيدة بناء يتركّب من العناصر والقوى التي تتظاهر على نحو يتمّ فيه تكامل المعاني الشعريّة المتبلورة في حقائق لغويّة "[25] ذات معاجم مختلفة " فالعالم الذي تتألف منه القصيدة عالم متجانس تتلاقى أفكاره وتتعاقب في حركة مطردة "[26].

25) بكّار يوسف حسين : بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث)، دار الأندلس للطّباعة والنّشــر والتّوزيع، ص 23.

26) المرجع السّابق، ص23.